

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فإن الله أكرم الموحدين المخلصين له الدين بأنه وفقهم فلم يجعلوا بينه وبينهم وسائط بل يدعونه وحده ويقصدونه وحده ويتوكلون عليه وحده ويفوضون أمورهم إليه وحده. منه يخافون وإياه يرجون وعليه يتوكلون.

فذلك هو ما أمر الله به عباده فقال سبحانه (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) فأمرهم أن يدعوه وحده ووعدهم أن يستجيب لهم والله لا يخلف الميعاد.

وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخُفياً) وقال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون). وقال تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (وإياي فارهبون) وقال عن نعيم الجنة (ذلك لمن خشى ربه) وقال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقال صلى الله عليه وسلم (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله). فليس بين العبد وبين ربه واسطة وليس بينه وبين الله شفعاء ، وليس بينه وبين الله حُجَاب، فبابه مفتوح وبه مبسوطة يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل. وينزل إلى السماء الدنيا إذا ذهب شطر الليل أو ثلثه فينادي عبادي هل من مستغفر هل من سائل هل من تائب هل من داع؟

فما أكرم الله وما أعظم الله وما أوسع جود الله تبارك ربنا وتعالى..

ولكن الشيطان زين لكثير من الناس أن يصرفوا هذه العبادات أو بعضها للأنبياء والأولياء والصالحين وأصحاب القبور وغيرهم .. أتاهم الشيطان وقال لهم أنتم مذنبون خطاؤون مسرفون قد حجتكم المعاصي والذنوب فكيف تدعون الله مباشرة إنكم إذا دعوتموه وسألتموه فلن يجيبكم ولكن عليكم بالتوسل إليه بالصالحين فهم أصحاب القرب من الله وهم أصحاب المنزلة العلية عند الله فاجعلوهم بينكم وبين الله وسائط اجعلوهم بينكم وبين الله شفعاء اجعلوهم بينكم وبين الله وسائل وزادهم غروراً فقال لهم أليس الله تعالى يقول في كتابه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) فهذه هي الوسيلة أن تعتكف عند قبور الصالحين أن تنذر لقبور الصالحين أن تستغيث بهم حين تنزل بك الكربات والأمراض والمشكلات..

وضرب لهم الشيطان مثلاً بملوك الدنيا فقال لهم: اليس إذا كان لكم حاجة عند الملوك والأمراء والوزراء تبحثون عن الواسطات والشفاعات حتى تقضى حاجتكم فكذلك الحال عند ملك الملوك توسطوا عليه بالأولياء والصالحين ومشايخ الطريق وأصحاب الأضرحة والمشاهد.. فكانت نتيجة ذلك التلبس والتدليس الشيطاني أن وقع كثير من الناس في الشرك بالله في العبادة مع كونهم يقولون لا إله إلا الله ويقرؤون في القرآن إياك نعبد وإياك نستعين ولكن استولت عليهم هذه الشبهة فأعمت أبصارهم عن رؤية الحق وصمت آذانهم عن سماع الحق وحجت قلوبهم عن فهم الحق والعياذ بالله..

عباد الله: إن معنى قوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) أي تقربوا إليه بالسبب الذي يوصلكم إلى رضوانه ويباعدكم عن غضبه ومقته وانتقامه وما هو السبب الذي يوصلنا إلى ذلك إنه تقوى الله وطاعته واجتتاب نواهيه، إنه الدين الحق الذي جاء به من العلم النافع والعمل الصالح هو الوسيلة التي تقربنا إلى الله تعالى. أما الكفر بالله والإشراك بالله وعبادة غيره معه فليس بوسيلة إلى الله ولكنه الوسيلة إلى النار بل و إلى الخلود فيها والعياذ بالله لأن الله حرم على الجنة من مات يشرك به الله شيئاً كما أنه حرم الخلود في النار على من مات لا يشرك بالله شيئاً.

ومن التوسل المقرب إلى الله تعالى أن تتوسل بإيمانك بالرسول وأن تتوسل إلى الله بمحبتك لأوليائه الصالحين فأنت في هذه الحالة تتوسل إلى الله بصالح عملك. ومن التوسل المشروع أن تتوسل في دعائك بأسماء الله الحسنی وصفاته العلى كأن تقول يا رحيم ارحمني يا غفور اغفر لي يا كريم اعطني واقض ديني وهكذا.. كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنی فادعوه بها).

وأما الشبهة الثانية: فإن العبد لو بلغت ذنوبه ما بلغت ثم تاب إلى الله تاب الله عليه وغفر له، وتأمل قوله تعالى (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ النِّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)

يُصَاعَفَ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحُلُّدُ فِيهِ مُهَاتًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) فهذه ثلاثة ذنوب عظيمة شنيعة بالغة في القبح منتهاه الشرك بالله أعظم الذنوب والقتل والزنا ومع ذلك يحث الله من فعلها كلها أو بعضها أن يتوب منها ويعد من تاب صادقاً أن يقبل توبته ويمحو زلته ويغفر سيئته بل ويبدلها له حسنات.. بل إنه سبحانه يفرح بتوبتك مهما بلغ ذنبك فرحاً عظيماً حتى إنه أشد فرحاً بالتوبة من فرحة من كتبت له الحياة بعدما أيقن بالموت.. فكيف تصغي لمن يريد أن يطردك عن جناب الله وكرمه ويحولك إلى مخلوق ضعيف عاجز لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فضلاً عن أن ينفعل.

وتأمل قول تعالى في الحديث القدسي (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي). ففر من الله وإلى الله اهرب من الله إلى الله لا تفر لغيره ولا تتلفت بقلبك إلى غيره.. (ففرروا إلى الله إنني لكم منه نذير مبين ، ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إنني لكم منه نذير مبين).

والله تعالى ليس كمثل شيء فلا يقاس به الملوك ولا العظماء ولا غيرهم إن ملوك الدنيا يشفعون المقربين منهم لحاجة الملوك إلى أولئك المقربين في تدبير أمر الدولة ولكن الله هو الغني عن كل ما سواه لذلك هو مالك الشفاعة لا يستطيع أحد أن يشفع عنده إلا بعد إذنه ولا يشفعون لأحد إلا لمن رضي الله عنه أن يشفع له وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضى أن يكفر به وأن يشرك به فمن أشرك مع الله تعالى في عبادته أحداً سواه ولو باسم التوسل والمحبة أو غير ذلك من الاسماء فلا نصيب له في الشفاعة كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين). نسأل الله تعالى أن يرزقنا التوحيد الخالص وأن يجنبنا الشرك كله أكبره وأصغره وظاهره وخفيه وأن يصلح ويهدي من ضل من أصحاب الطرق والقبور والأضرحة وأن يردهم إلى أفراد الله بالعبادة إنه سميع مجيب الدعاء. أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

عباد الله فلقد انتشرت عبادة القبور والأضرحة والصالحين في كثير من بلاد المسلمين تحت اسم التوسل بالصالحين ومحبة الصالحين ونحو ذلك من التسميات. والعبرة دائماً بحقائق الأشياء لا بظواهر أسمائها وشعاراتها..

ولو طرحنا السؤال التالي لماذا كان كفار قريش يعبدون الأصنام والأوثان والملائكة والصالحين لوجدنا الجواب في قوله تعالى في سورة يونس (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) [يونس: 18] ولوجدنا الجواب في قوله تعالى أيضاً في سورة الزمر (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر: 3] إذا سبب عبادتهم لهم مع الله أنهم أرادوا أن يكونوا شفعاء ووسطاء بينهم وبين الله تعالى. إنه نفس العذر الذي يردده عباد الأولياء والأضرحة اليوم ، إنهم يقولون نحن لا نعتقد أنه مثل الله ولكننا نجعلهم بيننا وبين الله وسائل ووسائط.

إن الله لم يقبل هذا العذر منهم بل حكم عليهم بالكفر فحتم آية يونس بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) وختم آية الزمر بقوله تعالى (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار).

فدل على أن من عبد الأولياء وحدهم فهو مشرك وأن من عبدهم ليتقرب بهم إلى الله فهو مشرك أيضاً والعياذ بالله.

نسأل الله أن يوفق حكام المسلمين لتطهير بلادهم من الأضرحة التي تعبد من دون الله ، وأن يحمي بلادنا هذه أن يدخلها هذا الداء بعد أن أنقذها منه بفضل أولادنا ، ثم بدعوة وجهاد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأنصار دعوته من آل سعود رحم الله أمواتهم وبارك في أحيائهم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين..